السنة الثانية ليسانس مقياس تاريخ وحضارة المغرب والاندلس.

الدرس العاشر. الدولة الموحدية، 540هـ668هـ/1145-1333م.

إن نشأة الدول الإسلامية في المغرب الإسلامي كان متشابها في أسسه وقواعده من خلال الاعتماد على الأساس الديني وإن اختلف الوازع والمذهب، إضافة الى الاعتماد على عصبية القبيلة وصولا الى جهود رجل واحد، كان له الدور الحاسم في توجيه الدولة.

وإذا كانت دولة المرابطين قامت بجهود الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين فإن دولة الموحدين قامت بجهود محمد بن تومرت، حيث كان النجاح الذي أقامه المرابطون ومن ورائهم قبيلة لمتونة او صنهاجة بمثابة الدافع لقبيلة مصمودة في إقامة دولة تضاهيها خاصة وان لها من المقومات ما يسمح بذلك.

المهدي بن تومرت.

مؤسس هذه الدولة هو الفقيه محمد بن عبد الله بن تومرت الهرغي المصمودي السوسي من قبيلة هرغة إحدى بطون مصمودة في بلاد السوس، بجبال الاطلس، ويقول المراكشي أن قومه عرفوا بالشرفاء (المراكشي، المعجب)، ولد ابن تومرت بقرية ايجليز بلاد السوس، وتلقى في صباه تعليما تقليديا بكتاب القرية، ولقب بأسفو بمعنى الشعلة، ارتحل في طلب العلم الى المشرق والتقى العديد من العلماء، حيث زار حواضر الحجاز ومصر والعراق وبلاد الشام.

تأثر ابن تومرت بآراء المعتزلة الذين كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، كما تأثر بالفكر الظاهري وخاصة فكر ابن حزم للمناهض للفكر المالكي، ومن جهة أخرى كانت دعوته فردية تعتمد على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوحيد الخالص واخذ يشيع في الناس انه الامام المنتظر القائم في أخر الزمان الذي يملا الأرض عدلا كما ملئت جورا، وكان يدعي العصمة لنفسه وبالتالي كان يبطن شيء من التشيع، وتأثر أيضا الاشعرية في أكثر المسائل. (المراكشي، المعجب)

ومهما يكن من أمر فإن المهدي بن تومرت أراد أن يضمن لدعوته النجاح فجعلها مزيجا من هذه الأفكار المذهبية والتيارات الفقهية، التي كانت معروفة في بلاد المغرب، كما صاغ أفكاره على تناقضها في العديد من الأحيان فيما يوافق مصلحته وأهدافه السياسية. (ابن تومرت، أعز ما يطلب)

بداية الدعوة الموحدية. كانت بدايته بمحاربة المنكرات وحلته في المهدية وتونس وبجاية فاكسبه ذلك شهرة عند عامة الناس وخاصتهم، ثم ارتحل الى تلمسان ثم فاس حيث جعل مجلسه في احد المساجد وبدا اتباعه بمحاربة المنكرات لذلك طرد من المدينة، فرحل الى مراكش حاضرة المرابطون فناظر الفقهاء وغلبهم فطرده الأمير المرابطي علي بن يوسف، فعاد الى قريته وشن حملة ظالمة على المرابطين ولما استوثق من قبيلته خطب فيهم مدعيا أنه المهدي المنتظر الذي بشر به الرسول صلى الله عيه وسلم، ثم جلس تحت شجرة الخروب يتلقى البيعة، فبايعه عشرة من رجاله حيث اطلق عليهم اسم اهل الجماعة ثم خمسون رجلا (اهل الخمسين) ثو سبعون رجلا (اهل السبعين)، وأصبحت هذه الطبقات الثلاثة تمثل النواة الأولى لدولة الموحدين.(ابن أبي زرع، الانيس)

بعد ان اطمأن ابن تومرت الى اكتمال تنظيمه وعلى ما جمعه من قوة تمكنه من محاربة اعدائه، انتقل الى مرحلة المواجهة، فأعلن الحرب على المرابطين وقد خاض معهم ثمان معارك حقق فيها ابن تومرت انتصارات عديدة مكنته من بسط نفوذه على بلاد السوس، الا أن أكبر المعارك التي خاضها ضد المرابطين هي معركة البحيرة التي اسفرت عن هزيمة الموحدين حيث تأجل دخول مراكش. (البيدق، أخبار المهدي بن تومرت)

عبد المؤمن بن علي. حمل عبد المؤمن بن علي أعباء الدعوة عقب وفاة ابن تومرت سنة 524هـ/ 1129م بعد شهور من معركة البحيرة، فنظم شؤون الدولة ثم شرع في الكفاح ضد المرابطين في منطقة الاطلس جنوبي مراكش وبلاد السوس، حيث استولى الموحدون على مراكش عاصمة المرابطين سنة 541هـ / 1146م، بعد كفاح دام أكثر من عشر سنوات، وقد نجح عبد المؤمن في احكام سيطرته على المغرب الأقصى بعد سقوط مراكش، ثم وجه اهتمامه نحو الشرق حيث فتح المغرب الأوسط وضمه الى دولته بعد ان قضى على دولة بني حماد، ووصل توسعه الى طرابلس، وثم عمل على محاربة بني هلال الذين وقفوا في وجهه، وبعد هزيمتهم قام بتوزيعهم على بلاد المغرب حتى يقضي على شرهم.(السلاوي، الاستقصا)

وبعد ان تمكن من تحقيق الوحدة السياسية تلق بلقب الخليفة واتخذ من مراكش عاصمة له، ثم شرع في تجهيز حملة لمحاربة النصارى في الاندلس وتوفي سنة 558هـ/1163م.(ابن ابي زرع، الانيس)

خلفاء عبد المؤمن. بعد وفاة عبد المؤمن بويع يوسف بن عبد المؤمن ليكون خلفا له، حيث تمكن من القضاء على عدة ثورات ثو وجه جل جهده لدعم سلطة الموحدين في الاندلس، وقد أصيب في احدى المواجهات وتوفي سنة 580هـ/ 1184م، فخلفه يعقوب بن يوسف ولقب نفسه بالمنصور ثم خلفه الناصر أبو عبد الله، وفي مرحلة الضعف حمك عدد من الامراء منهم يوسف الثاني 611هـ وعبد الواحد أبو محمد 620هـ وعبد الله العادل والمأمون أبو العلاء ادريس ثم عبد الواحد الرشيد وأبو الحسن علي ثم أبو حفص عمر المرتضى وأبو العلاء ادريس الثاني الملقب بأبي دبوز.

سقوط دولة الموحدين. تضافرت مجوعة من العوامل ساعدت على سقوط الدولة ومنها، تنافس بني عبد المؤمن على الحكم، ضعف الجيش الموحدي الذي كان يمول خزينة الدولة، الجهاد في الاندلس أرهق الدولة عسكريا وماليا، استمرار الثورات المناهضة الموحدين أبرزها بنو غانية، هزيمة حصن العقاب في الأندلس وما ترتب عنها من اثار سلبية، تراجع خلفاء ابن تومرت عن المبادئ الأساسية التي قامت عليها الدولة.

وعلى الرغم من هذه العوامل السلبية الا ان عظمة دولة الموحدين امر حقيقي فقد تمكنت من توحيد كل بلاد المغرب في دولة واحدة ولأول مرة في تاريخه، ولأول مرة تسمى البربر بالقاب الخلافة.